موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



ندوات تلفزيونية

قناة المستقبل

ندوات تلفزيونية - قناة المستقبل - الدرس (1-4) : الصيام وحكمته- حال المؤمن في رمضان
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2000-01-01

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الأستاذ زياد :

في آيات الصيام في سورة البقرة نقرأ قول الباري عز وجل :

(وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ)

(سورة البقرة الآية : 184)

البعض منا يحاول أن يتلمس الحكمة من كل عبادة تعبدنا الله سبحانه وتعالى بها ، ولكن للصوم حكم كثيرة ، ويجهد علماء الدين الأطباء ، علماء التربية ، علماء الاجتماع بتبيان حكم الصوم ، هل لنا من أن تستعرض بعض الحكم ، وأهم تلك الحكم ، ولاسيما أننا نقول دائماً في أمر تعبدنا الله فيه ، نقول دائماً : سمعنا وأطعنا .

مقدمة :

1 – أمانة نفس الإنسان :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ زياد ، جزاك الله خيراً على هذا السؤال ، لكن لا بد من مقدمة .

بادئ ذي بدء ؛ الإنسان هو المخلوق الأول رتبة ، لقوله تعالى :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

والأمانة عند جمهور العلماء : نفسه التي بين جنبيه ، أوكل الله إليه تزكيتها ، فقد قال تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

(سورة الشمس)

2 – مقوِّمات تزكية نفس الإنسان :

وما وكّل الله لهذا الإنسان تزكية نفسه إلا وأعطاه مقومات هذه التزكية .

1 ـ الكــون :

أعطاه كوناً ينطق بوجود الله ، ووحدانيته وكماله ، أعطاه كوناً مسخراً له تسخير تعريف وتكريم ، فينبغي أن يكون رد فعل التعريف الإيمان ، ورد فعل التكريم الشكر ، فإذا آمن الإنسان وشكر حقق الهدف من وجوده ، قال تعالى :

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

(سورة النساء الآية : 146)

أعطاه الكون وسخره له تسخير تعريف وتكريم .

2 ـ العـقل :

منحه العقل ، وجعل مبادئ العقل متوافقة مع نظم الكون ، فبالعقل يهتدي إلى الله .

3 الفـطرة :

منحه فطرة تكشف له الخطأ ، قال تعالى :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

(سورة الشمس)

4 ـ الشـهوة :

منحه شهوة كقوة دافعة ليرقى بها إلى رب الأرض والسماوات ، يرقى بها مرتين ، يرقى بها صابراً إذا امتنع عما حرم الله ، ويرقى بها شاكراً ، والشهوة حيادية ، يمكن أن تكون سُلّماً يرقى بها إلى أعلى عليين ، ويمكن أن تكون سلّماً آخر يهوي بها إلى أسفل سافلين .

5 ـ الحـرية :

ثم أعطاه حرية اختيار ليثمن عمله .

6 ـ الشرع :

ثم منحه هذا الشرع العظيم ، كمنهج قويم لحركته في الحياة .

لذلك الإنسان هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم ، فقال تعالى :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

3 ـ الإنسان مكلّف بالعبادة :

والإنسان هو المخلوق المكلف ، نقترب من عنوان هذه الحلقة الطيبة ، لقد كلفه الله بعبادته ، فقال تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

والعبادة في أدق تعريفاتها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

فالسلوك والالتزام هو أصل العبادة ، والمعرفة هي السبب ، والناحية الجمالية هي الثمرة .

الأستاذ زياد :

إذاً : العبادة طوعية .

الدكتور راتب :

4 ـ العبادة طوعٌ واختيارٌ :

طاعة طوعية ، لو أنها قسرية ليست عبادة ، لو لم تمتزج معها محبة قلبية ليست عبادة ، ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، وما عبد الله من أحبه ولم يطيعه .

الأستاذ زياد :

إذاً : ليس لنا ، أو قد يكون لنا أن نتلمس العلة من أمر تعبدنا الله به ، ولكن علينا بغض النظر عن هذه العلة أن نطيع طاعة طوعية كما تفضلتم .

5 – الانتفاع بالشيء ليس أحدَ فروع العلم به :

الدكتور راتب :

هناك قاعدة منطقية رائعة ، أن الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به ، فيمكن أن تطيع الله ، وأن تقطف كل ثمار الطاعة دون أن تغوص في حكم هذه الطاعة ، وكل هذه الحِكم يحتاجها الدعاة إلى الله ، ويقنع الناس بها .

مثلاً : لو أن إنسانا لا يقرأ ولا يكتب اشترى مكيفا ، وضغط مفتاح التشغيل ، وجاءه الهواء البارد ، ولو جاء إنسان ، واخترع هذا الجهاز ، فضغط الزر وجاءه الهواء البارد لكانوا سواء في ذلك ، لأن الانتفاع من هذا المكيف لا علاقة له بفهم دقائق عمله .

قالوا : الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به ، فلمجرد أن ينصاع المسلم لأمر الله يقطف كل الثمار، لكنه عابد ، لكن العالم ينبغي أن يعرف العلل والحكم ، حتى إذا دعا إلى الله لتكون دعوته مقبولة عقلاً .

6 – الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط :

ذلك لأن الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي ، أنا ألح على الكلمة الثانية ، خط النقل الصحيح ، لأن هناك نقلاً غير صحيح ، أحاديث مكذوبة ، أو موضوعة ، أو ضعيفة ، وخط العقل الصريح ، لأن هناك عقلاً تبريرياً ، وهو ساقط في نظر الناس ، وعند الله عز وجل ، ويستخدَم العقل التبريري ليغطي انحرافه .

إذاً : العقل الصريح ، والفطرة السليمة ،هناك فطرة منطمسة ، والواقع الموضوعي ، هناك واقع مزور، فالحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي ، فالإنسان مخلوق مكلف بعبادة الله .

7 – العبادات شعائر ومعاملات :

ولكن العلماء صنفوا العبادات إلى صنفين كبيرين : عبادات شعائرية ، وعبادات تعاملية ، العبادات الشعائرية كالصوم ، ونحن في شهر الصوم ، كالصوم ، والصلاة ، والحج الزكاة ، والنطق بالشهادة ، والعبادات التعاملية كالصدق ، والأمانة ، والعفة ، والوفاء بالوعد والرحمة ، والإنصاف ، وما شاكل ذلك .

لكن الحقيقة الصارخة أن العبادات الشعائرية لا تقبل ، ولا تصح ، ولا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، وينبغي أن تطالبني بالدليل .

الأستاذ زياد :

هذا ما أود أن أقوله ، تجزمون أن أمر القبول هو أمر غير معروف ، أمر لله سبحانه وتعالى ، ليس لأحد أن يقول لأحد : إن صلاتك غير مقبولة ، وهو قد أداها بشروطها ، ولكن تقولون : إن لم تلتئم ، أو تكتمل العبادة التعبدية مع العابدة الشعائرية مع العبادة التعاملية فالعبادة الشعائرية لا تقبل ، فكيف لمن امتنع عن الشهوات من الأكل والشرب ، وما إلى هنالك من مفطرات الصيام ، امتنع عن ذلك ، وتقول له : صيامك غير مكتمل ، أو غير مقبول .

8 – العبادات الشعائرية لا تقبل إلا إذا صحت العبادات التعاملية :

الدكتور راتب :

لولا الدليل لقال من شاء ما شاء ، إذا كنت ناقلاً فالصحة ، أو مدعياً فالدليل .

1 ـ الصلاة :

نبدأ بالصلاة :

((يؤتى برجال يوم القيامة لهم أعمال كجبال تهامة ، يجعلها الله هباءاً منثورا قيل : يا رسول الله جلهم لنا ، قال : إنهم يصلون كما تصلون ، ويصومون كما تصومون ويأخذون من الليل ما تأخذون ، ولكنهم إذا خلو بمحارم الله انتهكوها))

سقطت عبادتهم ، النبي عليه الصلاة والسلام سأل أصحابه :

((أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله من لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : الْمُفْلِسُ مِنْ أَمّتِي مَنْ يَأتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةِ وَصِيَامِ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قد شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فيقعُدُ فَيَقْتَصّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فطُرِحَ عَلَيْهِ ، ثُمّ طُرِحَ في النّارِ))

[رواه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ]

أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللّهِ ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ :

((هِيَ فِي النَّارِ))

[رواه أحمد والبزار]

هذه الصلاة .

الصوم :

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قوْلَ الزّورِ والعَمَلَ بهِ فلَيْسَ للهِ حاجَةٌ بأنْ يَدَعَ طعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))

[أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة]

هذا الصوم .

الحج :

((إذا حج المسلم بمال حرام ، ووضع رجله في الركاب ، وقال : لبيك اللهم لبيك ناده منادٍ في السماوات والأرض أن : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك))

الإنفاق :

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ)

(سورة التوبة الآية : 53)

النطق بالشهادة :

((من قال : لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة ، قيل : وما حقها ؟ قال : أن تحجزه عن محارم الله))

[الترغيب والترهيب عن زيد بن أرقم بسند فيه مقال كبير]

هذه أدلة قطعية ثابتة من الكتاب والسنة تؤكد أن العبادة الشعائرية ، ومنها الصيام لا تقبل ، ولا تصح ، ولا تقطف ثمارها إلا إذا رافقتها عبادة تعاملية منضبطة .

9 – رمضان صفحة جديدة لمحو الماضي :

ذلك أن رمضان فرصة لا تقدر بثمن ، يمكن أن تفتح مع الله صفحة جديدة ، وأن الماضي بأكمله جملة وتفصيلاً يغفره الله ، ما الدليل :

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

أرأيت إلى إنسان عليه ديون بالملايين ، وكل أملاكه محجوزة ، جاءه من يقول له : معك ثلاثون يوما افعل فيها كذا وكذا ، وتعفى من كل هذه الديون .

نحن أمام فرصة ، لا تقدر بثمن ، نفتح فيها مع الله صفحة جديدة ، لأن هذا الشهر دورة دينية مكثفة العبرة منه أن ترتقي إلى الله ، أن تذوق طعم القرب .

لو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لـــــغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب الـــعجب وجئتنا
ولو ذقت من طـــعم المحبة ذرة عذرت الـذي أضحى قتيلاً بحبنا
ولـــو نسمت من قربنا لك نسمة لـــمت غريباً واشتياقاً لقربنا
ولـــو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنـــات لأجلنا

***

أراد الله من هذا الشهر أن نذوق طعم القرب منه ، أن نصلي الفجر في جماعة .

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي ، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

[أحمد]

نحن إذا تعرفنا إلى الله ، وتعرفنا إلى منهجه ، وأقبلنا عليه أودع الله في قلوبنا سعادة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم ، لأنك مع الجليل ، مع العظيم ، مع الرحيم .

يقول بعض علماء المسلمين : ماذا يفعل أعدائي بي ؟ بستاني في صدري ، إن أبعدوني فإبعادي سياحة، وإن حبسوني فحبسي خلوة ، وإن قتلوني فقتلي شهادة ، فماذا يفعل أعدائي بي ؟ .

أراد الله في هذا الشهر أن نقترب منه ، أن نذوق طعم القرب منه ، أن نذوق حلاوة منجاته ، لكن الإنسان في غفوته في شؤون حياته يغفل عن الشيء الأساسي في حياته ، ذلك لأن الله عز وجل يتجلى على عبده بالسكينة في رمضان ، هذه السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة المستقبل - الدرس (2-4) : نفحات إسلامية ، الوقت وخطورة إضاعته ـ أركان النجاة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-01-2000

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

الأستاذ زياد :

في شهر رمضان للوقت عامل إضافي، يضاف إلى حياتنا اليومية أهمية إدارة الوقت ، وكلنا ينضبط بمواعيد محددة ، وهو دورة تدريبية مكثفة كما ذكرتم مدرسة إيمانية ، مدرسة تعبدية ، مدرسة أيضاً لحركتنا اليومية ، وإيقاعنا ، وضبط كل ما يمكن ضبطه من شهوات النفس ، والحركة الزائدة إيقاع الحياة ، نحاول أن نسيطر على هذا الإيقاع .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما صحت روايته عن النبي المصطفى أنه قال :

((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ : الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))

[رواه البخاري والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس]

فهل لنا من أن ننطلق من هذا الحديث النبوي الشريف ؟ لنخوض في موضوع إدارة الوقت بالنسبة للمسلم ، وأهمية هذه الإدارة للوقت .

مقدمة تأصيلية لموضوع إدارة الوقت :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

1 – الزمن هو البعد الرابع للأشياء :

أستاذ زياد ، جزاك الله خيراً ، النقطة إذا تحركت رسمت خطاً ، والخط إذا تحرك رسم سطحاً ، والسطح إذا تحرك شكل حجماً ، والحجم إذا تحرك كان زمناً ، وفي أحدث النظريات الزمن هو البعد الرابع للأشياء .

2 – الإنسان زمن :

أما علاقة الإنسان بالزمن فهو في حقيقته زمن ، أو أن رأس ماله هو الزمن ، أو أن أثمن شيء يملكه هو الزمن ، هو زمن ، وما سمعت تعريفاً جامعاً مانعاً للإنسان كتعريف الإمام الجليل الحسن البصري حيث قال : " الإنسان بضعة ، أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه " ، فهو كائن متحرك نحو هدف ثابت ، فكل دقيقة تمضي تقربه إلى هذا الهدف الثابت .

3 – إنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

لذلك الله جل جلاله أقسم بمطلق الزمن ، لهذا المخلوق الأول رتبة الذي هو في حقيقته زمن ، أقسم لهذا الإنسان الذي هو في حقيقته زمن لمطلق الزمن ، فكان جواب القسم :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

(سورة العصر)

قال تعالى :

(وَالْعَصْرِ (1)إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

(سورة العصر)

ما معنى الخسارة ؟ مضي الزمن وحده يستهلكه ، فلذلك يقسم الله جل جلاله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن ، أنه خاسر لا محالة ، لأنه يتلاشى شيئاً فشيئاً ، لذلك ورد في بعض الأحاديث الصحيحة :

((بادروا إلى الأعمال الصالحة ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غِنَىً مُطغِياً ، أو فقراً مُنْسِياً ، أو مَرَضاً مُفْسِداً ، أو هَرَماً مُقيِّداً ، أو مَوْتاً مُجْهِزاً ؛ أو الدجال ، فالدجال شرُّ غائِبٍ يُنْتَظر ؛ أو السَّاعَةَ ، والساعة أدهى وأمَرّ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول : " الليل والنهار يعملان فيك ".

انظر إلى صورة قبل أربعين عاماً ، وانظر إلى صورة بعد أربعين عاماً الفرق كبير جداً ، هذا فعل الزمن ، الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

لذلك هذا الزمن إما أن يستهلك ، وإما أن يستثمر ، البطولة والذكاء ، والفلاح والتفوق ، أن نستثمره ، وضيق الأفق ، والغباء ، والجهل ، أن نستهلكه .

الأستاذ زياد :

فضيلة الشيخ لنتبسط بالأمر بعض الشيء ، في أيامنا العادية غير أيام رمضان يقول المرء : إيقاع الحياة سريع ، حياتي العملية تأخذ مني كل الوقت ، دراستي في الجامعة تأخذ كله وكل ما هنالك ، والمرأة في بيتها ، أو في عملها الكل منشغل ، الكل يسارع إلى قضاء حوائجه من هذه الدنيا ، ولكن في رمضان وكأن شيئاً يتوقف ، نحن نسيطر على إيقاع الحياة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاس : الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))

[رواه البخاري والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس]

الصحة أن يكون قوي الجسم لطاعة الله ، والفراغ عنده وقت فراغ ، كيف يستثمره المرء ، وذكرتم الفرق بين الاستهلاك والاستثمار .

إدارة الوقت :

1 – إدارة الوقت أخطر شيء حياة الإنسان :

الدكتور راتب :

ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

كان عليه الصلاة والسلام إذا اسْتَيْقَظَ يَقُولُ :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي ، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي ، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

أيْ : سمح لي أن أعيش يوماً جديداً .

إذاً : إدارة الوقت أخطر شيء في حياة الإنسان .

2 ـ أصل إدارة الوقت من القرآن الكريم :

إدارة الوقت منطوية في آية كريمة :

(أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

(سورة الملك)

3 ـ ملخَّص إدارة الوقت :

يمكن أن تلخص إدارة الوقت في كلمات ، أن تضع هدفاً وأن تتحرك نحوه معظم الناس يعيشون بلا هدف ، لا يشعرون أن وراءهم رسالة ينبغي أن تؤدى ، لا يحسون أن هناك هدفاً يمكن أن يحقق ، هذا الذي لا يعرف قيمته ، ولا يعرف رسالته ، ولا يعرف هدفه هو بعيد عن أن يكون في المستوى الرفيع .
فلذلك : ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة .
الأولى أن يعد الإنسان عمره عداً تنازلياً لا عداً تصاعدياً ، فإذا ذهبت إلى طرابلس أرى اللوحات 50 ـ 40 ـ 30 ـ 20 هذا العد التنازلي .
الأولى بالإنسان ألا يقول : كم مضى من عمري ؟ بل يقول : كم بقي لي ؟ فإذا مضى الذي مضى كالمح البصر .

4 ـ استهلاك الوقت خسارة :

الآن استهلاك الزمن خسارة محققة ، كيف يستهلك ؟ نأكل ، ونشرب ، ونسترخي ونستمتع ، ونفعل ما يحلو لنا ، بلا ضابط ، وبلا قيمة ، وبلا هدف ، وبلا وسيلة ، وبلا منظومة قيم ، وبلا هدف واضح ، هذا إنسان يستهلك الوقت ، خسارته لا تقدر بثمن ، ولكن بعد فوات الأوان .
أستاذ زياد ، هذا مثل لا بد منه ، مثل :

5 ـ العاقل يحكمه النص ، وغير العاقل يحكمه الواقع :

لو أنني مسافر إلى طرابلس ، وهناك مكان في هذا الطريق مقطوع بسبب تراكم الثلوج ، مثلاً ، أو لسبب آخر ، وخرجت من بيروت فإذا لوحة كتب عليها : الطريق مقطوع بسبب كذا ، هل هناك إنسان فيه ذرة عقل يتابع الطريق ؟ يرجع ، ما الذي حكمه ؟ هذا النص ، هذا البيان ، لو أن دابة أين تقف ؟ عند العقبة .
حينما يكون الإنسان عاقلاً يحكمه النص والبيان ، وحينما يحكم عقله يحكمه الواقع ، فعظمة الإنسان أن الله أودع فيه قوة إدراكية ، وأنزل على أنبيائه كتباً ، وهناك توجيهات ، الحياة مؤقتة ، فاستهلاك الوقت أن أعيش كما يحلو لي ، أن أعيش لحظتي ، وألا أفكر فيما سيكون .

لذلك الإنسان الغبي يعيش ماضيه ، يتغنى بماضيه ، والأقل غباء يعيش حاضره ، والعاقل يعيش مستقبله ، عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[أخرجه ابن ماجه]

كما تفضلتم ، كيف نستثمر الوقت ؟ نستهلكه كما يفعل معظم الناس ، يعيشون لحظتهم ، ويفاجئون بحدث مستقبلي لم يكن يخطر لهم على بال .

6 ـ الموتُ بوابة الخروج :

أنا أقول كلمة لعلها قاسية ، لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح : هل يمكن أن أستيقظ كل يوم كاليوم السابق إلى ما لا نهاية ؟ مستحيل ، الأنبياء ، والعظماء والملوك ، والجبابرة ، والأغنياء، لا بد من يوم تظهر ظاهرة لم تكن من قبل ، إذاً هي بوابة الخروج ، من هو العاقل ؟ الذي يعد لهذه الساعة ما يحتاج ، استهلاك الوقت كما يفعل الناس .

7 ـ استثمار الوقت :

1 ـ والْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ

أما استثمار الوقت فكما يقول الله تعالى :

(وَالْعَصْرِ (1)إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)إِلَّا)

ما بعد (إلاّ)مخالف لما قبلها ، فإذا طبق الإنسان ما بعد إلا فليس خاسراً .

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

2 ـ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

الإمام الشافعي قال عن هذه الأربعة : أركان النجاة ، أنت تنجو إذا تعرفت إلى الله ، ثم عملت بما علمت .

وعالم بعلمه لم يعملنْ معذَّب من قبْل عباد الوثن

***

لو أن حقيقة صارخة مفادها أن إنساناً مريضاً مرضاً جلدياً ، وأنه لا بد له من تعريض جلده لأشعة الشمس ، فقبع في غرفة مظلمة رطبة ، وقال : يا لها من شمس ساطعة ، ما أروعها من شمس ، يا لها من أشعة مطهرة ، لو ملأ الدنيا فصاحة ، وبلاغة لم يُشفَ .

لذلك حقائق الدين من دون أن تطبق لا إطلاقاً ، ما فعلت شيئاً ،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

ما عرفت الحقيقة ، وأودع الله في الإنسان قوة إدراكية ، فإن لم تطلب الحقيقة لا تعرف من أنت ، أنت المخلوق الأول ، الكون كله مسخر لك .

(وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

(سورة الجاثية الآية : 13)

الآن بعد أن عرفت الحقيقة الصارخة ، عرفت أن الله موجود ، وأنه خلق الإنسان لجنة عرضها السماوات والأرض ، وأنه خلق الإنسان في الدنيا ليمتحنه وأنه خلقه في الدنيا ليدفع فيها ثمن الآخرة هذه الحقيقة الأولى .

الآن :

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

ينبغي أن تعمل وفق ما علمت ، لأن العلم ليس هدفاً بذاته إطلاقاً ، العلم وسيلة وليس هدفاً ، العلم ما عمل به ، فإن لم يعمل به كان الجهل أولى ، العلم حجة للإنسان إذا عمل به ، وحجة عليه إن لم يعمل به .

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

ينبغي أن تعلم ، وينبغي أن تعمل وفق ما علمت ، وينبغي أن تدعو وفق ما عملت .

3 - وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

يغيب عن الناس أو عن معظم الناس أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ، الحقيقة بشكل موضوعي قد تكون الدعوة فرض كفاية ، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، بمعنى قوله تعالى :

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية : 104)

أي : هناك علماء متخصصون ، متبحرون يملكون الأدلة التفصيلية ، يملكون الرد على كل الشبهات ، هؤلاء متخصصون ، متبحرون ، هذا فرض كفاية ، أما فرض العين فإن على كل مسلم يريد أن يدعو إلى الله في حدود ما يعلم ، ومع من يعرف ، يؤكد هذا قوله تعالى :

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)

(سورة آل عمران الآية : 31)

فعلامة حبك لله اتباع النبي ، ويقول أيضاً :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

(سورة يوسف الآية : 108)

يدعو إلى الله على بصيرة يعني بالدليل ، والتعليل ليس متبعاً لرسول الله ، فإن لم يتبع إذاً هو لا يحب الله .

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

***

إذاً : من أركان النجاة أن اعلم ، وأن أعمل بما علمت ، وأن أدعُ بما علمت .

4 ـ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر

الآن هناك عقبات ، هناك صعوبات ، هناك صوارف ، هناك طرف آخر ، هناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)

(سورة الأنفال الآية : 36)

لا بد من أن تصبر على طلب العلم ، وعلى العمل به ، وعلى تعليمه ، هذه أركان النجاة الأربعة ، فإذا حققت فقد حقق الإنسان وجوده في الأرض .

8 ـ سورة العصر أركان النجاة :

لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم ، وكان أصحاب النبي عليهم رضوان الله لا يتفرقون من مجلس إلا بعد أن يقرؤوا هذه السورة ، هي سورة قصيرة ، لكنها خطيرة ، سورة تحدد لك متى تربح ، ومتى تخسر .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة المستقبل - الدرس (3-4) : الداعية الناجح بدعوته
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-01-2000

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

الأستاذ زياد :

الآن ننطلق من قول الله عز وجل :

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

(سورة النحل الآية : 125)

كلٌّ يدعي أنه يدعو إلى سبيل الله بالحكمة ، بداية ما هي الحكمة ، ما هي الموعظة الحسنة ؟ والمجادلة بالتي هي أحسن ؟

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مسائل مهمة في الدعوة إلى الله :

1 – الداعية قدوة لغيره :

أستاذ زياد ، جزاكم الله خيراً ، يمكن الحديث عن هذه الأساليب مدة طويلة ، ولكنني في هذه العجالة وجدت أن أبرز هذه الأساليب من دون استثناء أن يكون الداعية قدوة لمن يدعوه .

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)

(سورة الأحزاب الآية : 21)

ما لم يكن الداعية قدوة فإن دعوته لم تؤثر إطلاقاً .

الحقيقة أن في تاريخ المسلمين صورا مضيئة جداً لهذه النماذج الرائعة في الدعوة .

الأستاذ زياد :

أود هنا قبل إعطاء هذا المثل أن ألفت انتباه المشاهدين أن هذا الحديث ليس فقط للمهتمين والدعاة ، ولكن لكل إنسان ، للأب ، للمسلم ، المسلم يجب بحقه الدعوة :

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد وصححه البخاري والترمذي عن ابن عمرو]

فلنعطِ المثال لكي ننشر الوعي بثقافة الإسلام .

سيدنا عمر الصحابي القدوة :

الدكتور راتب :

سيدنا عمر كان إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته ، وقال : << إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايم الله ، لا أوتين بواحد وقع في ما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني >> ، التعليق اللطيف : فصارت القرابة من عمر مصيبة .

الأستاذ زياد :

قال لأهله ، ولذويه ، ولأولاده .

الدكتور راتب :

هو قدوة .

مرة رأى إبلاً سمينة ، قال : << لمن هذه الإبل ؟ قالوا : هي لابنك عبد الله ، قال : ائتوني به ، وغضب ، فلما جاءه عبد الله ، ورآه غاضباً ، قال له : ما فعلت يا أبتِ ؟ إبل اشتريتها بمالي ، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن ، ماذا فعلت ؟ فقال سيدنا عمر : ويقول الناس : ارعوا هذه الإبل ، فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل ، فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين ، بع هذه الإبل ، وخذ رأس مالك ، ورد الباقي لبيت مال المسلمين >> .

سيدنا عمر التقى بأحد الولاة ، فأراد أن يمتحنه ، قال له : << ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ قال : أقطع يديه ، قال : إذاً إني جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك ، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل تشغلك بالمعصية >> .

جاءه ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم مسلماً ، ورحب به كثيراً ، وفي أثناء طوافه حول الكعبة بدوي من فزارة داس طرف رداءه ، فالتفت هذا الملِك لهذا الأعرابي ، هو ملك ، وذاك من سوقة الناس ، ضربه ضربة هشمت أنفه ، فما كان من هذا العرابي البدوي إلا أنْ توجه إلى عمر شاكياً ، سيدنا عمر استدعى جبلة ، أحد الشعراء المعاصرين صاغ هذا الحوار فقال :

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال :

لست ممن يكتم شيا ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي

قال له :

أرض الفتى ، لا بد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالق بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك ـ ملك ـ وتنال ما فعلته كفك .

قال : كيف ذاك يا أمير ، هو سوقة وأنا عرش وتاج ، كيف ترضى أن يخر النجم أرضا .

قال له : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس وأحراراً لدينا وعبيدا .

فقال : كان وهما ما كان جرى في خلدي إني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .

قال : عنق المرتد بالسيف تحز ، عالم نبنيه ، كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالبعد بالصعلوك تساوى .

كان عصر مبادئ .

الأستاذ زياد :

ما أحوجنا إلى هذه المعاني في أيامنا الحالية ، وفي الزمن الذي نعيش .

الدكتور راتب :

كان مع أصحابه ، قال أحدهم : << يا أمير المؤمنين ، والله ما رأينا أفضل منك بعد رسول الله ، فنظر إليهم بحدة كاد يقطعهم بها ، إلى أن قال أحدهم : لا والله ، لقد رأينا من هو خير منك ، قال : من هو ؟ قال : أبو بكر الصديق ـ دقق أستاذ زياد ـ فقال : كذبتم جميعاً لأنكم سكتم حينما قال : ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله ، كذبتم جميعاً وصدق ، والله كنت أضل من بعيري ، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك >> .

مرة شعر بحاجة إلى أن يأكل اللحم ، خاطب بطنه فقال : << قرقر أيها البطن أو لا تقرقر ، فو الله لن تأكل اللحم قبل أن يشبعه صبية المسلمين >> .

مرة وضعوا له سنام الناقة ، وهو أطيب ما فيها ، فبكى ، وقال : بئس الخليفة أنا إذا أكلت أطيبها ، وأكل الناس كراديسها >> .

الأستاذ زياد :

رضوان الله تعالى عن الفارق عمر ، والصحابة أجمعين .

فضيلة الشيخ ، إذاً القدوة هي أول أساليب الدعوة وأعلاها كما ذكرتم ، فلنعدد الأساليب .

الدكتور راتب :

أنا التقيت مع أحد الدعاة الكبار في مصر ، توفي ـ رحمه الله ـ سألته : ماذا تنصح الدعاة ، توقعت أن يتكلم طويلاً ، قال : ليحرص الداعية ألا يراه المدعو على خلاف ما هو عليه .

الأستاذ زياد :

إذاً : القدوة دائماً ، الأب قدوة في منزله ، في بيته ، بين أولاده ، والأم قدوة ، وكلنا يجب أن يكون قدوة لمن غيره .

الدكتور راتب :

لذلك هناك أدعية ثلاثة يقشعر منها الجسم : اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك ، اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني ، اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك .

إذاً : القدوة قبل الدعوة .

2 – الإحسان قبل البيان :

الآن : الإحسان قبل البيان .

" يا داود ، ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها " .

الإنسان يحب الجمال والكمال والنوال ، فإذا أنلته من فضلك ، أعنته ، تلطفت به تأثر ، فأخلاق الداعية أكبر مؤثر في المدعو ، وما لم يكن الإنسان صادقاً ، أميناً ، رحيماً متواضعاً لا ينجح .

حينما فتح النبي عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة ، دخل مكة مطأطئًا رأسه ، حتى كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره .

إذاً : ينبغي أن نكون قدوة قبل كل شيء ، وأن نحسن كي نفتح القلوب بالإحسان قبل أن نفتح العقول بالبيان .

3 – الأصولُ قبل الفروع :

ينبغي أن نبدأ بالأصول ونثني بالفروع .

الأستاذ زياد :

البعض يخلط في الأولويات ، يحاول أن يضع فروعاً يجعلها أولوية في دعوته إلى سبيل الله ، الآن علينا أن نرتب أولوياتنا ، وما أحوجنا إلى هذا .

4 – مخاطبة العقل والقلب معاً :

الدكتور راتب :

ينبغي أن نخاطب العقل والقلب معاً ، الله عز وجل خاطب العقل والقلب معاً قال :

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)

(سورة الانفطار)

يخاطب قلبه :

(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)

(سورةالانفطار)

يخاطب عقله ، يجب أن نخاطب العقل والقلب معاً ، يجب أن نبدأ بالأصول ونثني بالفروع .

5 – التربية لا التعنيف :

يجب أن نربي لا أن نعري ، ليس القصد أن أعنفه ، القصد أن آخذ بيده يجب أن نهتم بالمضامين لا العناوين ، المضامين قبل العناوين .

6 – المبادئ لا الأشخاص :

يجب أن نهتم بالمبادئ قبل الأشخاص ، يجب أن نجعل الدين مبسطاً كالهواء نستنشقه لا أن نعطله على الناس ، وهو بسيط .

أعرابي جاء النبي الكريم ، قال له : يا رسول الله عظني ولا تطل ، قال له تلا عليه قوله تعالى :

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

قال له : كفيت ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقه الرجل ، أي أصبح فقيهاً .

هناك لقطات رائعة جداً في حياة الصحابة الكرام . دخل على النبي رجل فقير ، فقال :

((رب أشعث مدفوع الأبواب ، لو أقسم على الله لأبره))

[رواه أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن أبي هريرة]

سيدنا عمر التقى براعٍ ، قال له : بعني هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، قال : ليست لي ، قال : قل لصاحبها : ماتت ، قال : ليست لي ، قال : خذ ثمنها ، فقال هذا الراعي : والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها : ماتت أو أكلها الذئب لصدقني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟ .

أستاذ زياد ، هذا الأعرابي ، هذا الراعي البسيط شيء دقيق جداً ، وضع يده على جوهر الدين ، حينما تقول : أين الله .

لذلك يمكن أن تتكلم ساعتين متتابعتين بأفصح لغة ، وبأصح دليل ، وبأعمق تحليل ، وأنت لا تعرف الله ، تعرفه إذا خفت منه ، نعرفه إذا رجوته ، تعرفه إذا اتقيت أن تؤذي عباده ، تعرفه إذا أيقنت أنك في قبضته ، تعرفه إذا أيقنت أنه يعلم أنه سيحاسب ، وسيعاقب ، معرفة الله شيء ، وأن يتخلق الإنسان بأفكار دينية شيء آخر .

فلذلك قضية المسلمين تحتاج إلى مصداقية .

مرة إمام بجامع بلندن نُقِل إلى ظاهر لندن ، فاضطر إلى أن يركب مركبة كل يوم ، صعد المركبة مرة، أعطى السائق ورقة نقدية كبيرة ، رد له السائق التتمة ، عدها فإذا هي تزيد عشرين بنسا عما يستحق ، هو إمام مسجد ، قال : ينبغي أن أرد الزيادة إلى السائق ، وجلس ، جاءه خاطر أنه الشركة عملاقة ، ودخلها فلكي ، والمبلغ يسير ، وأنا في أمسّ الحاجة إليه ، ولا علي أن آخذه ، لكنه لما أراد أن ينزل دون أن يشعر مد يده إلى جيبه ، وأخرج العشرين بنسا ، ودفعها للسائق ، فتبسم السائق ، قال له : ألست إمام هذا المسجد ؟ قال : بلى ، قال : والله قبل يومين حدثت نفسي أن أزورك لأتعبد الله عندك ، ولكنني أردت أن أمتحنك ، فإذا بهذا الإمام يقع مغشياً عليه ، لأنه تصور عظم الجريمة التي كاد يقترفها لو أبقى هذا المبلغ في جيبه ، فلما صحا من غفوته قال : يا رب ، كدت أبيع الإسلام بعشرين بنساً .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة المستقبل - الدرس (4-4) : كيف تكون علاقة المؤمن بربه في رمضان
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-01-2000

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الأستاذ زياد :

فضيلة الشيخ ، هناك آداب على المسلم أن يتمتع بها لكي يرقى بصومه ، ويبتعد عن خدش هذه العبادة التي هي صلة بين العبد وربه كالصلاة ، والزكاة ، وأيضاً الحج ، والعبادات الشعائرية كما تطلقون عليها كمصطلح ، كيف بنا بداية نتلمس حكمة الصوم بعد أن علمنا أنها أولاً وابتداء أنها خضوع لله سبحانه وتعالى .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مقدمة في مفهوم العبادة :

أستاذ زياد ، جزاكم الله خيراً ، الصوم بادئ ذي بدء عبادة ، ولابد من وقفة متأنية حول مفهوم العبادة :

1 – مِن صفات الإنسان الخَلقية : الجزع والهلع والضعف :

الله عز وجل خلق في الإنسان نقاط ضعف لصالح إيمانه ، ولصالح سعادته في الآخرة ، هذه النقاط .

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا)

(سورة المعارج)

ومعنى هلوعًا أنه شديد الجزع ، وخلق ضعيفاً ، وخلق منوعا ، هذه النقاط تدعوه إلى أن يبحث عن إله عظيم يحتمي به ، يتصل به ، يعتمد عليه ، يتوكل عليه ، هذا هو الباعث الفطري إلى التدين ، البشر عبر الحقب والدهور بعضهم اخترع إلهاً وتوهمه إلهاً ، وعبده من دون الله ، وهذه الديانات الوثنية الأرضية ، أما عباداتها فحركات وسكنات وتمتمات ، تسمى عند علماء الاجتماع طقوس ، لا معنى لها إطلاقاً ، بينما حينما يصل الإنسان إلى الإله الحقيقي ، خالق السماوات والأرض ، الذات الكاملة ،

واجب الوجود صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى ، حينما يصل إليه ويتصل به ، ويعتمد عليه، ويقبل عليه ينهي ضعفه ،

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا)

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21)إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

إذاً الباعث إلى التدين في الأصل أن في خلق الإنسان في أصل كيانه نقاط ضعف ثلاثة ، هو جزوع ، وضعيف ، وعجول .

2 – العبادة ضرورية :

حينما يرى الإنسان هذا الكون ، وما فيه من عظمة لا تنتهي ، كأن هذا الكون يشف عن إله عظيم ، هذا الإله قوي ، وغني ، ورحيم ، وحكيم ، وكمال الخلق يدل على كمال التصرف ، فلا بد لهذا الإله العظيم من أن يرسل إلى عباده رسلاً ، ولا بد لهذا الإله العظيم من أن ينزل على رسله كتباً ، بين أيدينا كلام الله عز وجل ، هذا الكتاب يعرفنا بحقيقة الكون ، وحقيقة الحياة ، وحقيقة الإنسان ، ويأمرنا بعبادات كي نشحن بها متصلين بالله عز وجل .

القرآن دليلنا في الحياة

الصيام أحد هذه العبادات ، ويمكن أن أعرج قليلاً على أن العبادات منها ما هو تعاملي ، كالصدق ، والأمانة ، والعفة ، والوفاء بالوعد ، وإنجاز العهد ، ومنها ما هو شعائري ، كالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة .

فالصلاة شحنة إلى الصلاة التالية ، وصلاة الجمعة شحنة إلى الأسبوع القادم بينما الصيام شحنة سنوية، في هذا الصيام يدع الإنسان المباحات ، يدع الطعام والشراب ، يدع ما هو مباح له في أصل الشريعة ، فلأن يدع ما هو محرم عليه من باب أولى .

ذلك أن العبادة في أصلها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

الإنسان يبحث عن سلامته وسعادته ، يشقى حينما يضل الطريق ، بل إن أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط .

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

(سورة الملك)

هذا الكيان البشري لا يسلم ولا يسعد إلا إذا طبق تعليمات الصانع ، هذا الخالق العظيم له تعليمات ، وما من آلة بالغة التعقيد غالية الثمن ، عظيمة النفع إلا معها تعليمات التشغيل والصيانة ، والإنسان أعقد آلة على وجه الأرض ، فحينما يتعرف الإنسان إلى خالقه ويتعرف من خلال الكتب التي أنزلها، إلى سر وجوده ، و إلى غاية وجوده ، وإلى مهمته في الحياة الدنيا ، وإلى أنه يحمل رسالة ينبغي أن يؤديها ، حتى يسعد في جنة عرضها السماوات والأرض ، الإنسان حينما يتيقن أنه مخلوق للجنة يحرص على طاعة الله ، ويتقي أن يعصي الله ، بل يبني حياته على العطاء ، يقول الله عز وجل :

المؤمن يجد راحته في عبادة الخالق

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2)وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3)إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

كلام دقيق جداً الناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم وأنسابهم ، وطوائفهم ، ودياناتهم ، لا يزيدون عن نموذجين عند الله عز وجل ،

(أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

صدق أنه مخلوق للجنة ، فاتقى أن يعصي الله ، وبنى حياته على العطاء .

الطرف الآخر كذب بالحسنى ، كذب بالجنة وآمن بالدنيا .

(يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)

(سورة الروم)

لما كذب بالجنة ، وآمن بالدنيا استغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ .

الأستاذ زياد :

كيف تكون هذه الطاعة في منتهى الرقي ، لا يخدشها أي تصرف ، قد يكون فقهاً تصرفاً جائزاً ، ولكن تعبدياً فيه ما يخدش هذه العبادات .

الصيام :

الدكتور راتب :

1 – الصيام تقوية لإرادة الإنسان :



حينما تضعف إرادةُ الإنسان عن أن يحمل نفسه على طاعة الله يأتي رمضان ليقوي هذه الإرادة ، الله عز وجل منعه أن يأكل ويشرب ، والطعام والشراب مباح في كل أشهر العام ، منعه أن يقرب أهله ، وشيء مباح في الليل ، وفي بقية أشهر العام ، معنى ذلك أن الله منعه من المباحات ، فإذا اقترف المعاصي والآثام اختل توازنه ، ليس معقولاً أن تدع الطعام والشراب وهو مباح ، وأن يكذب الإنسان ، وأن يملئ عينيه من الحرام ، وأن يتصرف تصرفاً لا يليق بالإنسان . إذاً : كأن الله بهذه العبادة أراد أن يقوي إرادتنا إذ أن الإنسان إذا أطاع الله سعد في الدنيا والآخرة . بل إن الناس جميعاً لا يزيدون عن رجلين ، رجل عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه فسعد في الدنيا والآخرة ، ورجل غفل عن الله ، وتفلت من منهجه فشقي في الدنيا والآخرة .

الصيام أستاذ زياد جزاكم الله خيراً يقوي إرادة الإنسان في طاعة الرحمن ، هذا شيء مهم جداً .

2 – الصيام قفزة نوعية للمسلم :

وكأن الله أرادنا في رمضان أن نقفز قفزة نوعية ، أي أن نحمل أنفسنا على الصلوات التامة ، أن نؤديها أداء متقناً ، أن نستيقظ على صلاة الفجر ، أن نذكر الله قليلاً أو كثيراً ، أن نتلو القرآن ، أن نغض أبصارنا عن محارم الله ، أن نضبط ألسنتنا ، أن نضبط آذاننا ، أن نضبط دخلنا ،وإنفاقنا ، أن نضبط

بيوتنا ، حينما يشمر الإنسان ليصطلح مع الله ويفتح معه صفحة جديدة ، صدق أستاذ زياد أن هذا الشهر العظيم كما قال سيد الأنبياء والمرسلين :

((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

((من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))

[متفق عليه]

فكأن هذا الإنسان المسلم وهو على مشارف رمضان متاح له أن يفتح مع الله صفحة جديدة بالمصطلح الحديث .

الأستاذ زياد :

وفي كل سنة تمر علينا ، ويتجدد هذا اللقاء ، ويمن الله علينا ، بأن يبلغنا رمضان هذا فرصة جديدة دائماً ، لكي نكون بتجدد العهد مع الله سبحانه وتعالى ، وهو الغني عن طاعتنا وعبادتنا ، وهو لصالح الإنسان .

3 – فرضُ الصيام لسعادة الإنسان :

الدكتور راتب :

(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)

(سورة الزمر الآية : 7)

ذلك لأنه خلقنا ليسعدنا ، خلقنا لجنة عرضها السماوات والأرض ، ورد في بعض الأحاديث القدسية :

((إني والجن والإنس في نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر غيري خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكر أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنتهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ،))

[أخرجه الحكيم البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء]

الله عز وجل يدعونا في رمضان إلى الصلح معه ، يدعونا في رمضان أن نتوب إليه ، يدعونا في رمضان أن نقبل عليه ، يدعونا في رمضان أن نذوق طعم القرب منه ، أكل وشرب واستمتع بمباهج الدنيا ، عليه في رمضان أن يذوق طعم القرب في رمضان .

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لمـــا وليت عنا لغيرنا

ولــو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثيــاب العجب وجئتنا

ولــو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلا بحبنــا

ولــو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً بقربنـــا

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنـــــا

***

هي دعوة من الله عز وجل .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الدرس (4-1) : الصيام وحكمته- حال المؤمن في رمضان 1

الدرس (4-2) : نفحات إسلامية ، الوقت وخطورة إضاعته ـ أركان النجاة 8

الدرس (4-3) : الداعية الناجح بدعوته 15

الدرس (4-4) : كيف تكون علاقة المؤمن بربه في رمضان 21

الفهرس...27